جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السنة الجامعية 2023-2024

مقياس: المؤسسة العسكرية البرية والبحرية **د/ فهيمة عمريوي**

السنة الأولى ماستر

المحاضرة السادسة: مهام الجيش الانكشاري بالجزائر

أدى الجيش الانكشاري عدة أدوار بالجزائر خلال الفترة العثمانية من 1519 تاريخ الالتحاق الرسمي للجزائر بالباب العالي إلى غاية 1830 تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر ونهاية ما يعرف بالجزائر في العهد العثماني.

الدور الايجابي: ويتمثل في

- **صدّ الحملات الأجنبيّة:** تعرّضت الجزائر منذ ارتباطها بالباب العالي 1519م إلى غاية 1830م إلى عدّة حملات أجنبيّة، انتصر في معظمها، كما أظهر بسالته و قدرته على القتال في الحملات الأخرى أثناءها منها: حملة شارلكان 1541م.كما انتصر في معركة مزغران 1557م هذه المعركة الّتي خلدها الشّعر الشّعبي بقصيدة مطلعها:

يا فارس من تمّ جيت اليوم قصة مزغران معلومة

كما نجح في صدّ حملة الكونت أوريلي سنة 1775م، و حملتي الدّون أنطونيو يرثلو الأولى 1782م و الثّانية 1783م، ممّا جعل إسبانيا تجنح للسلم عام 1785م، كما أظهر مقاومة أثناء غارة دوكان الفرنسي سنة 1682م على شرشال و 1683م على الجزائر، و انتصر أيضًا في الاسترجاع الأوّل لوهران 1708م في عهد الدّاي محمّد بكداش، وبعد أن استرجعها الإسبان 1732م تمّ تحريرها نهائيا سنة 1792م، وقد استاء اللورد إكسموث ببسالة الجيش الانكشاري في القتال أثناء حملته على الجزائر 1816م حيث ذكر أنّه لم ير في حياته عدوا أكثر صمودا و أكثر تشبثا بأسلحته ولا حماسا، مثل حماس الجزائريّين في القتال.

- ساهموا في الدفاع عن حدود الإيالة حيث تم استدعاؤهم في الحروب ضد تونس أو فاس أو في وهران، التي كانت تحت وطأة الاحتلال الإسباني إلى غاية 1792م. فأثناء الحرب التي أعلنها المولى إسماعيل ضد الجزائر واجهه الداي شعبان بقوة مكونة من 6000 تركي و4000 من العرب وقد انتهى التوتر بجنوح المغرب للسلم، ومن الأمثلة البارزة أيضا في الدفاع عن حدود الايالة المحلة الاستثنائية المعروفة بمحلة تونس، وهي فرقة مؤلفة من اليولداش جهزها الداي بابا حسن (1699-1700م) سنة 1700م ضد مدينة تونس على إثر حصار هذه الأخيرة لمدينة قسنطينة. ويتضمن سجل لمُخلفات المتوفين يعود تاريخه إلى بداية القرن الثامن عشر أن وجود أكثر من ستين متوفى من اليولداش في هذه المحلة فنقرأ على سبيل المثال "مخلفات سفطة سليمان يولداش المتوفى بمحلة تونس جيئ بها من غرفته بفندق المحتسب"، ومخلفات حسن يولداش المتوفى بنفس المحلة جيئ بها من غرفته بالبوزة"، ومن المتوفين أيضا نذكر عبدي شاوش الصبايحية، ومصطفى يولداش الإسطنبولي وغيرهم.

كما خرج الداي بابا مصطفى في شهر ربيع الأول من سنة1112هـ/ 1700م بحملة أخرى لفك الحصار على قسنطينة، بقوة بلغت في مجموعها خمسون خيمة تشمل كل منها خمسين جنديًا، منهم خمسون فردًا يشكلون قوات المحلة تمكن خلالها من إلحاق هزيمة بمحلة الباي مراد، وفي السنة ذاتها خرج في محلة أخرى إلى الناحية الغربية.

-أدى جنود المْحلة أثناء خرجاتها السنوية للبايلك أدوارًا سياسية وعسكرية واقتصادية متعددة، فسياسيًا ساهمت في توفير الأمن وترهيب ومعاقبة القبائل الرافضة للسلطة المركزية، كما اعتبرها الحكام وسيلة لتحويل أنظارها إلى الأهالي بَدل بقائهم مدة أطول في المركز مما قد يتسبب في تدخلهم في السلطة وثوراتهم على النظام، وبهذا الإجراء سُمح لكل الجنود الاستفادة من مكاسب الخدمة في المْحلة.

-إضافة إلى المهام السياسية، ساهمت المْحلات في تفعيل الجانب الاقتصادي، حيث كانت تتحول زمن السلم إلى سوق مبادلة وتجارة سواءً ذلك بالنسبة للمواد العَينية التي تعرضها المجموعات القبلية بغرض تحويلها إلى مواد نقدية أو بالمواد التي كانت تأتي بها المْحلات من الجزائر لبيعها في دواخل البلاد. ولقد لاحظ هايدو(Haëdo) أنه بمجرد فراغ الجنود من الحملات يعودون إلى الحاميات يجُرون ورائهم الجمال والبغال المُحّملة بكميات من القمح والعسل والزبدة والتمور والتين والعنب الجاف بغرض بيعها. وبذلك فإن مرور المْحلة بين المجموعات القروية الريفية هي مناسبة لإدخال النقود وتنشيط التبادل بينهم حيث تُقام الأسواق وتُعرض فيها مختلف المواد للبيع سواءً تحت ضغط الجُباة أو بطلب من القبائل.

-**قمع التّمرّدات الدّاخليّة**: قاوم الجيش الإنكشاري عدّة تمرّدات داخليّة منها ثورة القبائل في عهد خضر باشا (1589- 1592م)، وثورة الكراغلة 1629م، كما قاوم الانتفاضات الشّعبيّة المتمثّلة في كلّ من ثورة الرّيف الدرقاوي في الغرب وابن الأحرش في الشرق.

- شغلوا عدّة مهام إداريّة منها النّظر في أوقاف الحرمين الشريفين و أوقاف مؤسّسة سبل الخيرات. ومارسوا ما يقارب 28 حرفة منها: الحياكة، الخياطة، البجاقجية، الحفافة ... ولم يقتصر نشاطهم الاقتصادي على ذلك بل تولوا أمانة بعض الحرف مثل حرفة البابوجية، و الخياطة، و السمارة، نذكر منهم محمّد بلكباش بن عبد الله أمين الخياطين، و أحمد الانكشاري وكيل حرج 179 أمين جماعة السمارين.

- المساهمة في الأعمال الخيرية التي تجلت في كثرة عقود الوقف التي سجلت بأسمائهم، ولم تقتصر هذه الممارسة على رتبة دون أخرى من رتب الجيش، و قد استفادت من تلك العقارات عدّة جهات منها الحرمين الشّريفين، المساجد و الأضرحة والزوايا، وكان ما يجئ من المداخيل المتحصل عليها من تلك الأوقاف مصدرا لترميم تلك المؤسسات والإنفاق عليها من دفع أجور أجور الأئمّة و المدرسين و غيرها، و بذلك كان الجيش من المساهمين في استمرارية تلك المؤسسات في أداء وظائفها الدينيّة و الثّقافيّة. وفي ممارستهم للنشاط الاقتصادي والخيري دلالة على اندماجهم مع بقية شرائح مجتمع مدينة الجزائر وقتذاك.

- **الدور السلبي**: قام الجيش الانكشاري بأدوار سلبية كان من أهم عوامل إضعافه ونهايته عام 1830 ومن هذه السلبيات نذكر:

- تورّط الجيش الانكشاري في المؤتمرات على الحكام و الإطاحة بهم و اغتيالهم، فكان الجيش يولي من يشاء ويعزل من يشاء، وهو ما تسبب في الفوضى وعدم الاستقرار، ومن الحكام الّذين كانت نهايتهم القتل نذكر الداي شعبان آغا (1688- 1695م)، و الدّاي مصطفى باشا (1789- 1805م)، والداي عمر باشا 1815-1817. و من الحكام الّذين تمّ عزلهم من طرف الجيش، نذكر آخر الباشوات وهو الباشا إبراهيم (1656- 1659م)، حيث لم يكتف الجيش بسجنه بل قاموا بتغيير النّظام السّياسي من الباشوات إلى الآغوات، كما قام الجند بعزل الداي حسان باش شاوش، و سمح له الديوان بالدّيوان بالمغادرة، فتوجه إلى طرابلس، و منها إلى مصر، و أبرز دليل على تدخل الجيش في السلطة مع التّسبّب

في الفوضى و عدم الاستقرار. و هو نظام الآغوات (1659- 1671م) الّذي دام قرابة 12 سنة كانت نهاية حكامه الأربعة القتل من قبل الجيش و هم على التوالي خليل آغا (1659- 1660م)، و رمضان آغا (1660- 1661م)، شعبان آغا (1661- 1665م)، وعلي آغا (1665- 1671م).

- استخدام الدايات لجنود المحلات لتنفيذ أوامرهم في الأقاليم، فكان الداي إذا أراد عزل أو قتل بايًا من البايات يقوم بإرسال أوامره إلى المحلة المتواجدة في عين المكان لتتولى المهمة. فعندما أراد الداي حسن باشا(1791م-1798م) وضع حداً لسلطة صالح باي أمر أغا نوبة قسنطينة بالقبض عليه وسجنه إلى غاية وصول الباي الجديد الذي كان خارج قسنطينة، غير أن هذه المحاولة كانت فاشلة حيث تمكن السكان من اغتيال الباي الجديد وإعادة صالح باي إلى منصبه، حينها بعث حسن باشا محلة إلى المنطقة كان رفقتها صهره علي ووكيل الحرج، ومعهم الوزناجي ليتولى منصب باي قسنطينة وباقتراب المحلة من المنطقة تم القبض على صالح باي واغتياله من قبل جند المْحَلة.

وعندما أراد الداي علي باشا (1817م-1818م) الحّد من تدخل الجيش الإنكشاري في السلطة اتخذ جملة من التدابير منها إرسال محلة إلى بايلك الشرق عيّن فيها كل العناصر المشتبه في سمعتها وولائها له ثم بعث من يتربص بهم فقتل بعضهم وسرّح البعض الآخر.

- اعتماد جنود المْحلة يعتمدون في التزود بالمؤنة خلال مرورهم على القبائل التي يمرون بها فيأخذون بالقوة كل ما يحتاجون إليه لذلك كان السكان ينتقلون إلى المناطق الداخلية باقتراب وصول فرق المْحلة. نتيجة لتصرفات جنود بعض المْحلات كانت هذه الأخيرة تواجه مقاومة محلية رافضة لها وكان الديوان السلطاني يتلقى شكايات متتالية من قبل الأهالي عن هذه التجاوزات، وقد علّق الشريف الزهار عن ذلك بقوله "... كان الخُلفاء يأتون في آخر الربيع فيُخرجون معهم الأمْحال ليستخلصوا الخَراج والزكاة والأعشار وهكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي والأواخر صاروا يُخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين..." ، والمضمون ذاته أورده حمدان خوجة الذي ذكر بأن الجنود تغيرت أخلاقهم وصاروا يرتكبون المخالفات ضد البدو والقبائل، وهو ما أدخلهم في صراع مع السكان وقد انتهت بعضها بخسارة على الانكشارية خصوصًا بعد امتلاك قبائل كوكو للأسلحة النارية.

- حرمان العنصر المحلي من الانخراط في صفوف الجيش، إذ بقيت حكرا على العنصر التركي، و خير دليل على ذلك عمليات التّجنيد من المناطق الأناضوليّة، وغير الأناضوليّة السّابق ذكرها والتي استمرت حتى نهاية الحكم العثماني، و بذلك اتّسعت الهوّة بين الحاكم و المحكوم. كما حرم العنصر المحلي من

تولي المناصب السياسية الهامة فقد كانت حكرا على العنصر التركي إذ تبدأ مهمتهم عسكرية وتنتهي سياسية فيبدؤون جنودا يعرضون أنفسهم لجميع المخاطر بهدف الحصول على الثرة والمسؤوليات وبعد تقدمهم في السن يبلغون المراتب العليا والارتقاء حتى إلى درجة داي.

- حرمان الأبناء (فئة الكراغلة) من الوصول إلى أعلى المناصب في الجيش، ممّا أدّى إلى وقوع صدمات بين الآباء و الأبناء تجسّدت في عدة ثورات قام بها الكراغلة ضدّ النّظام منها ثورة 1629، وثورة 1633.

-القضاء على الجيش الانكشاري:

أدّى تدخل الجيش في السلطة إلى محاولة بعض الدّايات القضاء على تمرداتهم، منهم الدّاي علي خوجة (1717- 1718م) الّذي غير مقر إقامة من قصر الجنينة إلى أعالي القصبة، ممّا جلب نقمة الانكشارية عليه، فحاولوا اغتياله و لما اكتشف تلك المؤامرة قام بإعدام عشرة انكشاريين من المتآمرين، و قطع رؤوسهم عند باب القصبة إهانة لهم، كما قضى على حوالي 2000 انكشاري، و 150 بلكباشي، و اضطرّ آخرون إلى العودة إلى الأناضول، و عوضهم بعناصر من حامية الشرق و فرق الزواوة و الكراغلة، وتتمثّل هذه الحادثة بداية النّهاية للجيش الانكشاري بالجزائر، ثمّ قل التّجنيد من المناطق العثمانيّة بسبب الحصار الفرنسي و الإنجليزي للبحر المتوسّط، إضافة إلى قضاء محمود الثاني على الجيش الانكشاري في الدّولة العثمانية فيما عرف بالواقعة الخيريّة سنة 1826م.

وفي سنة 1830م تعرّضت الجزائر للاحتلال الفرنسي، و بالتالي إنهاء الحكم العثماني بالجزائر ونهاية الجيش الانكشاري الّذي كان حاجزا حال دون تحقيق الأطماع الأوربيّة خاصّة الإسبانية في المنطقة لمدة تزيد عن ثلاث قرون.